الفصل العاشر

على حافة الحرب

(وتدهور العلاقات مع ألمانيا)

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تشرشل :

وأخيرًا وصلنا إلى النقطة الحاسمة ، التي تدهورت فيها جميع علاقاتنا مع ألمانيا ، والتي راحت تهدد بالانقطاع ، ونحن الآن نعرف أن هذه العلاقات لم تكن صادقة بين بريطانيا منذ اليوم الذي جاء فيه هتلر إلى سدة الحكم ، فقد كان هتلر يحاول إكراهنا بشتى الوسائل والطرق على قبول الوضع الحاضر والسماح له بإطلاق يده في شرق أوروبا بينما كنا نقوم بدورنا في تهدئة الخواطر بكل إخلاص ، وها قد جاء الوقت الذي فقدت فيه حكومة تشمبرلين كل أمل في تسوية الوضع المتأزم، وما إن اقتنعت الوزارة أن ألمانيا جادة في طريق الحرب ، حتى سارعت إلى عقد المحالفات ومنح الضمانات دون تفكير بما قد تجره هذه الضمانات علينا من أعباء مرهقة ، بالإضافة إلى إمكاناتنا المحدودة في تقديم العون لتلك البلاد ، وهكذا منحت ضمانات أخرى بالإضافة إلى الضمانات السابقة ، إلى كل من اليونان ورومانيا وعقدت حلفًا مع تركيا .

وترتب بالتالي ، على الحكومة ، أن تدرس إمكانية تطبيق الوسائل العملية لتنفيذ هذه الضمانات نحو بولندا ورومانيا ، وقد كانت هذه الضمانات غير ذات قيمة ، من الناحية العسكرية، ما لم تكن ضمن برنامج من الاتفاقات يعقد مع روسيا ، وحاولت الوزارة أن تنفذ هذا التحالف مع روسيا فطلبت من السفير البريطاني في موسكو أن يبدأ سلسلة من المحادثات مع المسيو لتفينوف، ولم أكن انتظر أية نتيجة من هذه المحادثات بسبب معاملتنا الجافة لروسيا في السابق، وبالرغم من ذلك فقد قدم الروس مشروعًا لعقد تحالف بين بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي يقضي بتقديم العون إلى دول أوروبا الشرقية التي تتعرض للغزو الألماني ، وكانت العقبة الكبرى التي عرقلت هذا التحالف ، هو خوف تلك الدول الصغيرة من التعاون مع روسيا الذي يقضي بدخول الجيوش السوفييتية إلى أراضيها للدفاع عنها ضد ألمانيا ، والسبب في ذلك خوفها من قلب نظام الحكم الحاضر وضم تلك البلاد إلى النظام الشيوعي السوفييتي التي كانت تعارضه تلك البلاد ، ووقعت البلاد في حيرة من أمرها ، هل تخاف الغزو الألماني أكثر أم العون الروسي، وكان هذا التردد السبب في شل حركة السياسة البريطانية والفرنسية في تلك المنطقة .

وقف المستر تشمبرلين مذهولاً أمام هذه المشكلة الجديدة، وبدأ طريقة المماطلة والتسويف، ولو أنه قبل هذا العرض الروسي لتغير وجه التاريخ وسارت الأمور بطريقة تختلف عما وصلت إليه، وعلى الأقل، لن تكون النتيجة بأسوأ مما أصبحت عليه بالفعل.

وساد الصمت، وأعدت أنصاف الحلول والتسويات والمساومات، وأصيب المشروع بضربة قاصمة، ومنيت محادثات ليتفينوف بالفشل الذريع، وبدا له أن التفاهم مع الدول الغربية أصبح مستحيلاً، وفقدت الثقة بين الروس والغرب، وشعروا بوجوب اتباع سياسة خارجية مختلفة تمامًا عن السابق، وذلك للحفاظ على سلامتهم، وصدر البيان الرسمي القاضي بعزل لتفينوف من منصبه في وزارة الخارجية، وتكليف مولوتوف، رئيس الوزارة، بمهام الوزارة بدلاً منه، وهكذا تم إقصاء الوزير اليهودي الذي كانت ألمانيا تكره وجوده، وتعاون مولوتوف مع ستالين نفسه في رسم سياسة خارجية جديدة أكثر تحررًا من السياسة السابقة، وأكثر انسجامًا مع مصلحة روسيا الخاصة، ولم يكن أمامهم إلا طريق واحد، هو تأييد هتلر المطلق.

مخاوف تشرشل:

يقول تشرشل:

كان خوفي شديدًا من تراجع حكومة جلالته عن ضمانتها لبولندا في حال تعرضها لهجوم ألماني واسع النطاق، ولكن المستر تشمبرلين كان قد عقد العزم على خوض معركة ضارية مهما كان هذا العزم مريرًا بالنسبة له، ولكني لم أكن على معرفة وثيقة به كما أصبحت فيما بعد، وكان خوفي أن يقوم هتلر «ببلفة» جديدة من بنات أفكاره، كاختراعه لسلاح جديد رهيب يمكنه من تخويف مجلس وزارتنا المثقل بالأعباء، وكان الأستاذ ليندمان يحدثني دائمًا عن الطاقة الذرية، وقد طلبت إليه أن يطلعني على المعلومات الكافية حول هذا الموضوع، ففعل وبعثت برسالة إلى كنغزلي وود، وزير الطيران، هذا نصها:

« قرأت في إحدى الصحف قبل أسابيع، عن قصة الطاقة الهائلة التي يمكن بعثها من اليورانيوم، وقد توصلت الاختبارات الحديثة إلى اكتشاف هذه الطاقة بعد أن يتجزأ هذا

أما موقف موسوليني المستر فكان اهتمامه الشديد في تثبيت مركزه في البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا، وحصوله على نتائج مرضية من جراء تدخله في إسبانيا، واحتلاله لألبانيا، ولم يكن يرغب في الدخول في حرب أوروبية من أجل احتلال ألمانيا لبولندا، فبالرغم من تبجحه وادعاءاته فكان يدرك في قرارة نفسه ضعف مركزه العسكري السياسي: وربما كان على استعداد للدخول في الحرب عام ١٩٤٢ بعد أن تزوده ألمانيا بالسلاح أما في عام ١٩٣٩ فلا، ثم لا ...

وفي الصيف، بعد أن اشتد الضغط على بولندا، أراد موسوليني أن يمثل الدور الذي مثله في ميونيخ، كوسيط للسلام، إلا أن هتلر كان قد عقد العزم على احتلال بولندا، وأوضح لتشيانو عن تصميمه لتسوية الوضع مع بولندا، وأنه سيضطر للدخول في حرب مع إنكلترا أو فرنسا، وهو يطلب من إيطاليا الدخول معه في هذه الحرب، وقال: «وإذا قررت إنكلترا الاحتفاظ بقوات كافية في بلادها، فعليها أن ترسل بفرقتين من المشاة إلى فرنسا مع فرقة مدرعة، وعليها أن تبعث بقاذفات القنابل إلى ألمانيا، أما الطائرات المقاتلة فيمكنها الاحتفاظ بها في بلادها، لأنها ستحتاج إليها هناك، لأن قواتنا الجوية ستهاجم إنكلترا في الحال، وستحتاج إلى تلك المقاتلات للدفاع عن بلادها، أما عن فرنسا فقال أن تدمير بولندا لن يستغرق طويلاً، وستتمكن ألمانيا من حشد جيوشها على خط ماجينو وستكون على أتم الاستعداد للدخول في معركة الحياة أو الموت ... ورجع تشيانو لينقل إلى رئيسه ما سمعه من هتلر، فلقاه مقتنعًا هو الآخر أن الدول الديمقراطية ستخوض الحرب، كما وجده أكثر تصميمًا على البقاء خارجها.

❖ ❖ ❖

ماذا قال ستالين ؟!

يقول تشرشل:

وقامت محاولات جديدة للتقرب من روسيا، إلا أنها باءت جميعها بالفشل الذريع، وقد قال لي ستالين حين زرته في شهر آب عام ١٩٤٢، عندما كنا في الكرملين، موضحًا

النوع من الذرة بواسطة النيوترون ، وقد أوحت هذه التجارب عن وجود قوة هائلة من المتفجرات التي يمكن أن تحتوي على قوة تدميرية مخيفة، ولكن يمكننا الاطمئنان إلى ناحية هامة ، هو أن هذا الاكتشاف الجديد لا يمكن وضعه موضع الاستعمال قبل عدة سنوات .

« وهناك دلائل تشير إلى أن القصص والروايات ستحاك حول إمكانية استخدام هذا الاختراع العلمي الجديد لاستخراج مواد متفجرة سرية منه ، قادرة على أن يمحو لندن من الوجود ، وستجري محاولات عديدة من قبل رجال الطابور الخامس لإقناعنا باستخدام هذه التهديدات لقبول عملية استسلام من نوع جديد ، لذلك رأيت من واجبي أن ألفت نظرك إلى ذلك،

أما الخوف من أن يكون الألمان قد اكتشفوا مثل هذا السلاح الرهيب ، فهذا لا يستند إلى أي أساس علمي صحيح، ولا شك في أن التلويح بهذا السلاح سيظهر وستنتشر الأقاويل المخيفة وستتضخم الإشاعات ، وكل أملي ألا تأخذ الجهات المسؤولة بهذه الإشاعات المضخمة .

لقد كان هذا التكهن صحيحًا ودقيقًا بنفس الوقت ، فالألمان لم يجدوا الطريق الصحيح، بل تبعوا طريقًا خاطئًا وما لبثوا أن تخلوا عن فكرة البحث عن اختراع القنبلة الذرية ، واستمروا في أبحاثهم لاختراع الصواريخ الموجهة والطائرات التي تطير دون طيارين ، بينما كنت والرئيس روزفلت نتخذ المقررات الهامة التي سآتي على ذكرها في الوقت المناسب ، لإتمام صنع القنابل الذرية على نطاق واسع .

❖ ❖ ❖

تصريح موسوليني:

يقول تشرشل :

في السابع من شهر تموز صرح موسوليني للسفير البريطاني بكلمة حول موقف بلاده من ألمانيا فقال : « قل لتشمبرلين ، أنه إذا كانت بريطانيا راغبة حقًا في الدفاع عن بولندا وحمل السلاح من أجلها ، فإن إيطاليا لن تتأخر عن حمل السلاح والاشتراك مع حليفتها ألمانيا » ،

ناحية واحدة من موقف روسيا عندما قال: « لقد تأكد لنا أن الحكومتين البريطانية والفرنسية غير عازمتين على الدخول في حرب مع ألمانيا إذا ما هاجمت بولندا ، وإن رغبتهما في عقد الحلف الروسي ـ الفرنسي ـ البريطاني ليست كما تبدو في الظاهر ، بل لرغبتهما في كبح جماح هتلر ، وكنا على ثقة تامة أن هذا الحلف لن يوقف هتلر » .

وقد سأل ستالين أحد المفاوضين : «كم فرقة تستطيع فرنسا أن تقذف بها إلى الميدان ضد ألمانيا؟ » وكان الرد «مائة فرقة» ثم سأل «وكم تستطيع إنكلترا أن ترسل ؟ » وجاءه الرد «فرقتين أولاً ، ثم فرقتين فيما بعد » .

ثم سأل: «هل تعلمون كم فرقة نستطيع أن نقذف إلى الميدان في حال دخلنا الحرب ضد ألمانيا؟» ولما لم يجبه أحد من المتفاوضين استطرد قائلاً : «أكثر من ثلاثمائة فرقة ! » . ..

وهنا أرى من الواجب أن أسجل نص الميثاق المعقود بين ألمانيا وروسيا، بعد أن فشلت المحاولات الغربية لإشراك روسيا في حلف ضد ألمانيا ، وبعد أن اتجهت روسيا نحو ألمانيا التي سارعت إلى عقد ميثاق عدم اعتداء هذا نصه .

«ترى الدولتان المتعاقدتان أن من الواجب عدم القيام بأي عمل وقد احتفل بتوقيع هذا الميثاق باحتفال رسمي كبير ، وقام ستالين ليشرب نخب هتلر وقال : «أنا أعرف أن الشعب الألماني يحب زعيمه حبًا كبيرًا ، لذلك أحب أن أشرب نخبه » .

نستخلص مما تقدم أن الاستقامة هي السياسة المثالية ، وسنرى في هذا الكتاب أمثلة عديدة على هذه النظرية ، فقد يبدو الساسة والدهاة ، على خطأ في حساباتهم التي افترضوها ، إلا أن هذا المثل يبقى أوضح من غيره ، فبعد اثنين وعشرين شهرًا أرغم ستالين وعشرات الملايين من الشعب الروسي أن يدفعوا ثمنًا باهظًا ومخيفًا لما وقع ....

* * *

obeikandl.com